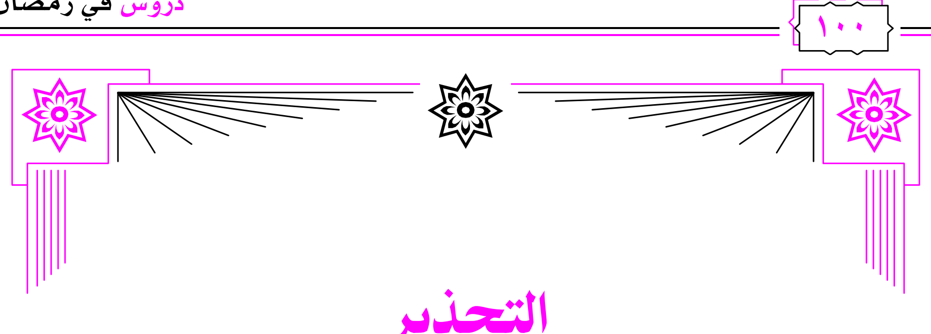


التحذير من إتباع الحسنة السيئة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فاتقو الله تعالى ... وأتبعوا الحسنة بالحسنة، فوالله ما أجمل الطاعة إذا أتبعت بطاعة ولا أجمل من الحسنة تتلوها الحسنة بعدها فتلكم من الباقيات الصالحات التي ندبكم الله إلى فعلها في محكم الآيات، واحذروا المعاصي فإنها موجبات للخسران والإذلال، ولا تبطلوا ما أسلفتم في شهر الصيام من صالح الأعمال، ولا تكدّروا ما صفا لكم فيه من الأوقات والأحوال، ولا تغيّروا ما عَذُب لكم فيه من لذة المناجاة والإقبال، ألا وإن علامةَ قبول الحسنة عملُ الحسنة بعدها، وإن علامة ردّها أن تُتَّبع بقبيح الأفعال، وقد قيل ذنب بعد توبة أقبح من سبعين قبلها، وإن في معاودة الصيام بعد رمضان دلالة على الإيمان والرغبة في فعل الخيرات، قيل لبِشر الحافي: إن قوماً يتعبدون في رمضان ويجتهدون، فإذا انسلخ تركوا. قال: بئس القوم لا يعرفون الله إلا في رمضان.

وقال الحسن البصري: لا يكون لعمل المؤمن أجلٌ دون الموت ثم قرأ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحِجر: ٩٩].

وقال كعب : من صام رمضان وهو يحدِّث نفسَه إذا أفطر بعد رمضان عصى ربه، فصيامه مردودٌ، ومن صام رمضان وهو يحدِّث نفسه إذا أفطر بعد رمضان أن لا يعصي الله دخل الجنة بغير حساب ولا مسألة.

وقال يحيى بن معاذ : من استغفر بلسانه وقلبه على المعصية معقود وعزمه أن يرجع إلى المعصية بعد الشهر ويعود، فصومه عليه مردود، وباب القبول في وجهه مسدود.

بعد أن مضى رمضان المبارك كأنه طيفُ خيال أخذ الكثير ينصرفون عن صالح الأعمال، فبالأمس كانت المساجدُ مكتظة بالمصلين، والأصوات مدوِّيةً بتلاوة الكتاب المبين، بالأمس أُنفقتْ آلاف المئين على ذوي القربى والمساكين، بالأمس جُلّ التفكير مقصور على ما ينفع أمام رب العالمين، والنفوس محلِّقة مع عالم السماء الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون، واليوم ـ رُحماك يا رب ـ بعد أن كنَّا مُرْغِمين للشيطان بكثرة النوافل أخذ يهتزّ طرَبَاً من تركنا لها، ويتصارع مع النفوس في ترك الواجبات: ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فَاطِر: ٦]، وإن تلكم لمأساة كبرى وخسارة عُظمى أن يبني الإنسان ثم يهدم، وأن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، أين تلكم القلوب الخاشعة في رمضان؟ أين تلكم العيون الدامعة؟ أين تلكم الألسن التالية؟ أين تلكم الأيدي السخيّة المنفقة؟ أين تلكم الأرواح المقبلة على الله؟ أين ذلكم الشعور الفيّاض في رمضان؟

أليس ربُّ رمضان هو ربّ شوال وشعبان؟

أليس هو الذي أخبر عن نفسه ـ سبحانه ـ أنه مع المتقين

والمحسنين في كل زمان؟

أليس هو الذي أخبر عنه رسوله ﷺ بأنه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الآخر فيقول: «**مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»(١) ما هذا الانصراف؟ ما هذه الرغبة عن الله الذي يُحِب من عباده المداومة على تقواه؟

وفق الله الجميع لطاعته، ورزق الله الجميع العلم النافع والعمل الصالح،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



(١) سبق تخريجه.